الحق في الأمن : مقاربة مقارنـــة

- بين أطروحات النظرية الأمنية والنظريّة الإسلاميّة-

د. صورية زاوشي

جامعة الجزائر 3

كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية

ملخص :

الغاية الأوليّة التي يسعى إليها الإنسان وسائر المخلوقات فوق وجه الأرض هي "الأمن"، بمختلف حاجات تحقيقه، سواءُ أكانت فيزيقيّة أو روحانيّة، يعتبر هاجس كل التصورات و الوقائع في حقل العلاقات الدولية بتعدد مستوياتها (المحلية، الإقليمية و العالمية)، و لهذا بات الأمن حقّا للجميع، إلاّ أن المقاربات تختلف في تحديد الأُسُس و المعالم و حتى المفاهيم المتعلقة به.

و من خلال هذه الدراسة نسعى إلى الإيحاء عبر مقاربة مقارنة حول فكرة "الحق في الأمن"، بين الأطروحات النظرية الأمنية الجديدة من جهة، والنظرية الإسلامية من جهة أخرى.

• و في هذا الصدد يمكننا طرح التساؤل العام للإشكالية البحثية على النحو التالي :

كيف ساهمت كل من الأطروحات النظرية الأمنية الجديدة والنظرية الإسلامية في الإقرار بأُسُس ومبادئ أحقّيّة الأمن لدى المجتمعات والدول ؟

• و للإجابة على هذا التساؤل العام، يُمكننا طرح جُملة من التساؤلات الفرعية :

1. ما هي مفاهيم و آثار النزعة المادية للأمن لدى الأطروحات النظرية الأمنية ؟
2. كيف رسمت المقاربات التقليدية للتحليل الأمني مستويات و مفاهيم الأمن ؟
3. ماهي معايير البناء الأمني بعد إعادة مفهمته ؟

4. ماهي معاني الأمن في الإسلام ؟
5. ما هي أهم مكونات الأمن من المنظور الإسلامي ؟

الكلمات المفتاحية:

الأمن، الواقعية/الواقعية الجديدة، الإسلام، المصلحة الوطنية، أمن الدولة و الفرد.

Abstract :

The primary purpose for human and beings on the planate is the "Security", with different kinds and components, physical and spiritual, in the same time it reform several levels (local, regional, and global ones); it became key issue for all approaches, which vary in foundations, concepts, and methods.

We try throughout this study for "the right for security" idea, to clarify the different among new security theories in one hand, and Islamic theory on other hand. We discuss such problematic by put principle question: how the theoretic dissertations and Islamic theory has contributed to elaborate the content of security ? some sub-questions as follow: 1) what are the main concepts that include the materialism security in the different theories ? How traditional approaches analysis security levels and the concepts ? What are the norms to built the security in fragile environments around the world? What are the meanings of security in Islam? What is the security component from Islamic perspective ?

These questions can be explained and analyses by key points as follow :

- The Right for security : the new security approaches.
- The right for security : the Islamic theory
- Why the right for security ?

الحق في الأمن: مقاربة الأطروحات النظرية الأمنية الجديدة

أ-النزعة المادية للأمن: المفاهيم والآثار

أكثر النظريات شهرة في مناقشة قضية الأمن هي النظرية الواقعية/الواقعية الجديدة التي تتخذ من الدولة المرجع النهائي في صياغة الأجندة الأمنية وتحديد الأدوات اللازمة لتحقيقها. يلخص هذا المنظور مضمون "حق الأمن" في مفهوم "المصلحة الوطنية" التي إحدى مكوناتها الأساسية، البقاء القومي للدولة.

يعتبر هانس مورغنتو Hans Morgenthau من أكثر الباحثين الذين طوّروا مفهوم المصلحة الوطنية كمحدد حاسم للأمن كحق للدولة، واعتباره كأداة تحليل لفهم وتفسير السلوك الدولي و مخرجات عمليات صناعة القرار، على افتراض أنه موجه أساسي لإدراكات وسياسات الدول. يتعلق هذا المفهوم بتوفر الحد الأدنى من المحافظة على البقاء القومي وحماية الحدود الإقليمية والنظام السياسي والهوية الثقافية من الاعتداءات الخارجية (1). لم يبق مورغنتو مفهوم "المصلحة الوطنية" مبهما وعاما وإنما لخصه في كسب القوة وزيادتها والاحتفاظ بها، والتي تعني على وجه الدقة القوة العسكرية (الأدوات المادية) على افتراض أنه كلما كدست الدولة القوة العسكرية فهي آمنة من الاعتداء عليها وأن الذي يتهاون في ذلك يكون ضحية للاعتداء. بصفة عامة، تسعى الدول للحفاظ على بقائها القومي، واستمرار كيانها الذاتي عن طريق الحصول على القوة العسكرية وبذلك تكون المصلحة الوطنية المحددة في القوة هي جوهر السياسة الخارجية (2) وهذا يعني من جانب آخر، التركيز المفرط على الجانب المادي في تحديد مفهوم الأمن من جهة، والتضحية بكل شيء من أجل أمن واستمرار الدولة من جهة ثانية وإهمال المكوّن الأخلاقي كلية في تحقيق الأمن؛ بحيث يمكن استباحة كل المحرمات وسفك الدماء تحت مبرر أمن الدولة. فبسبب تأثير المفهمة المادية المجردة من البعد الأخلاقي "لحق الأمن"، استباح صناع القرار كل الحدود واستخدموا كل الإمكانيات من أجل تثبيت أمن الدولة. ومن المفارقات المثيرة للاهتمام أن تأثير المفهمة المادية "لحق الأمن" قد امتد أيضا إلى عقول الجماعات المسلحة المناهضة للحكومة السورية.

المشكلة الأخرى في هذا التحديد المفاهيمي المادي للأمن المجرد من الأخلاق هي كثرة الحروب في العلاقات الدولية تحت ذريعة البحث عن المصالح الوطنية المحددة في كسب القوة على حساب الآخرين، على اعتبار أن كسب زائد في القوة سوف يكون على حساب الآخرين أو تهديد أمن واستقرار الآخرين مما يعني الاستعداد المستمر للحرب الذي بالضرورة سوف يكون على حساب الجوانب الإنسانية والاجتماعية للشعوب والأفراد.

ب- إعادة مفهمة الأمن و المصطلحات الجديدة

ظهر عدد من المراجعات النظرية (3) لمفهوم الأمن مع نهاية الحرب الباردة في تسعينيات القرن العشرين التي طالبت "بإعادة مفهمة الأمن Reconceptualization of Security" (4) عن طريق توسيع مجاله ليشمل القضايا غير العسكرية. في سياق إعادة مفهمة الأمن، تم طرح عدد من المصطلحات الجديدة التي توسع مجال مفهمة الأمن كحق موجه للسلوك في العلاقات الاجتماعية والسياسية ما بين الشعوب وبين المجتمعات والدول، والتي منها :

- الأمن الكوني

تكمن الخلفية الإمبريقية لهذا المفهوم في التطورات المأساوية في أدوات الاتصال وتراجع أبعاد الجغرافيا أمام التقنية والتكنولوجيا المعقدة، سواء تعلق الأمر بالأدوات اللينة (اتصالات، مواصلات..) أو الأدوات الصلبة (أسلحة وأدوات تدمير)؛ التي غيرت نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الدولي وعلى وجه أدق غيرت نمط العلاقات المختلفة بين الشعوب والجماعات على كوكب الأرض. بحيث أن القضايا التي كانت تعتبر في السابق شأنا داخليا (انتهاكات حقوق الإنسان مثلا) للدولة والمجتمع ولا تترتب آثارها على المجتمعات والدول الأخرى البعيدة عنها ؛ أصبحت في العالم المعاصر ذات صلة وثيقة بالحياة الخاصة للمجتمعات والدول الأخرى وليست متعلقة فقط بالشكل العام للعلاقات الدولية. لا يتعلق الأمر فقط بالمسائل العسكرية والأمنية التقليدية فحسب، وإنما ينسحب أيضا على القضايا الأمنية الجديدة مثل انتهاكات حقوق الإنسان والتطهير العرقي والنزاعات المذهبية والطائفة العابرة للحدود. فالتهديدات اللينة أو الهادئة التي تواجه المجتمعات مثل المخدرات وغسل الأموال والجريمة والحرب

المذهبية والإرهاب هي ممتدة عبر عدد من الدول بحيث أصبحت فواعلها بإمكانها تنظيم نشاطها عبر العالم بواسطة تسهيلات تكنولوجيا الاتصال، دون الحاجة لتنقل الأشخاص وإمكانية التعرض لكشف الهوية أو الاعتقال من قبل قوات الأمن.

- الأمن المنظم

طرح مصطلح "الأمن المنظم" كبديل عن مصطلح "الأمن الوطني"، على خلفية توسيع مفهوم الأمن ليشمل صفا من الأجندة والاهتمامات الأمنية.

يعمل طرح مفهوم "الأمن المنظم" باتجاه إثراء التحليل الأمني بما يجعله أكثر تنظيما وأكثر عمومية وقابلية للتطبيق؛ ويجعل الاقتراحات الإستراتيجية في بناء الأمن وتثبيت الاستقرار أكثر قبولا وإقناعا لمعظم صناع القرار عبر العالم، سواء في حكومات القوى العظمى أو حكومات العالم النامي التي تشكل معظم العالم. العامل الأساسي الذي عزز تماسك مفهوم "الأمن المنظم" في التحليل هو ظهور ما يسمى "بالمجتمع المدني العالمي Global Civic Society"(5) الذي ينظر لقضية الأمن بعيون مغايرة لما هو مطروح لدى الواقعيين الجدد. إن هناك تركيزا متزايد على القضايا التي تهم سكان العالم جميعا وليس فقط البحث عن حلول لمشاكل التسلح وآثار الحروب والنظرة الذاتية الأنانية المركزة على المصلحة الوطنية والنزعة المادية للأمن المجردة من الأخلاق المطروحة بشكل خاص من قبل هانس مورجنتو وكنيث ولتز (6) كما سبق الإشارة إليه.

تعني فكرة المجتمع المدني الكوني بالضرورة إعادة مفهمة قضية "الحق في الأمن"، من خلال التأكيد على معنى أن الأمن الوطني قضية غير معزولة أو قابلة للتقسيم وليست خاصة بطرف دون آخر؛ وإنما هي قضية متكاملة تبدأ من الجماعة المحلية ثم الوطنية ثم الإقليمية ثم العالمية. وعند اقتراح أن الأمن قضية غير قابلة للتقسيم فهذا يعني من الناحية العملية أن أمن الدولة هو جزء من القضية وليس كلها، وأن اعتبارات سيادة الدولة الصارمة غير مفيدة في توفير بنية آمنة فعالة في تثبيت الاستقرار العالمي؛ وتصبح هناك ضرورة متزايدة لخلق آليات جديدة للتفاعل بين الأطراف الدولية، قائمة على خاصية العلاقات "ما فوق قومية Transnational" أو "ما

فوق عالمية Trans-World"، خاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان. على افتراض أن هناك تغير في شكل العلاقات الدولية المعاصرة، إحدى تجليات هذا التغير، أنه أصبح من الممكن أن تجد قوة عظمى مهيمنة على العلاقات الدولية نفسها بحاجة إلى دولة ضعيفة لمساعدتها على احتواء تهديدات معينة داخل أراضيها، ربما ناجمة عن انتهاك مريع لحقوق الإنسان (تطهير عرقي أو مذهبي مثلا). بل إن التغير قد امتد حتى إلى أدوات الأمن وعدم الاستقرار، بحيث لم يعد هدف الإضرار بالخصم يحتاج إلى أسلحة ضخمة أو جيوش أو ما إلى ذلك، وإنما تكفي أجهزة تفجير تحمل في حقيبة صغيرة، يتم تفجيرها في ساحات عامة التي ترتادها وسائل الإعلام العالمية. وذلك بسبب خاصية المجتمعات الحديثة التي تحدث عنها زبيجنو بريزنسكي (7) وهي "القابلية العالية للعطب"(8)

- الأمن المشترك

يصطدم مفهوم الأمن المشترك مع كثير من العوائق التي على رأسها حساسية الدول نحو القضايا الأمنية الوطنية وكذا مسائل الريبة وفوضى النظام الدولي والمساعدة الذاتية والمآزق الأمنية، وهي القضايا التي أثارها الواقعيون الجدد(9) يضاف إليها المشاكل الفنية المتعلقة بالأعباء المالية وتكاليف الدفاع وحساسية انتقال التكنولوجيا عالية التعقيد إلى الدول الأخرى وحقوق الملكية ومخاوف وقوع مثل هذه التكنولوجيا في يد العدو، وكذا مسألة توحيد العقيدة العسكرية.

استكمال الشروط السابقة هو خطوة ممهدة لمرحلة جعل مفهوم "الأمن المشترك يعمل بنفسه"، أي التفاعل بشكل ذاتي دون العبور على القيود والرسميات الوطنية، أو ما سماه ريتشارد ريتر وديفيد مارتين "بقابلية العمل المشترك Interoperability". ولقد عرّفا هذا المفهوم بأنه: "قدرة الناس والمنتجين والمعدات والأجهزة على العمل معا بفاعلية وكفاءة في ظروف المعركة كافة." (10) من خلال هذا التعريف، يتبين أن الأمن المشترك ضمن إستراتيجية الردع الصاروخي في بناء الأمن يتجاوز مستويات التنسيق والتعاون بالمفهوم التقليدي، بحيث يشمل عمليات التدريب على تشغيل الأنظمة الدفاعية عالية التقنية وفهم النواحي التكتيكية وتطوير المهارات

الفردية التي تجعل المجموعات غير المتماثلة، تعمل بشكل جماعي والاتصال مع بعضها البعض بشكل فعال؛ إن هذا العمل المشترك هو الأساس لتفعيل إستراتيجية الردع الصاروخي والتي تعني مفهوم "الأمن المشترك" بالمعنى المحترف(11) المشكلة في المضمون النظري لهذا المفهوم هي إعطاء أولوية لأمن الدولة ولا يول اهتماما إلى النتائج الأمنية الناتجة عن القصف الصاروخي، الذي عادة يخلّف وراءه ضحايا كثر في صفوف المدنيين وينتهك حقوق الإنسان أو على وجه التحديد يقوّض أمن الأفراد بشكل قاس ومؤلم. تكمن الخلفية الإستراتيجية لهذا المفهوم في اتخاذ الدولة كمرجع نهائي للتحليل، وبذلك تكون الأولوية للسيطرة الأمنية حتى ولو كان نتائجها ضحايا بشكل شامل في صفوف المدنيين الأبرياء.

- الأمن الإقليمي

يرجع الفضل في طرح هذا المصطلح إلى باري بوزان في كتابه "الشعب، الدول، والخوف: مشكلة الأمن القومي في العلاقات الدولية People, States, and Fear : The National Security Problem in International Relations" (12) ، وكانت إشارة منه إلى بداية التحول في مضمون المفاهيم التقليدية لقضية الأمن في تحليل العلاقات الدولية؛ لتنتقل من المستوى الوطني إلى المستوى الإقليمي. لا شك أن هذا المفهوم لم يتصل تماما من الأساس الواقعي في اعتبار الدول أطرافا أساسية أو أحادية في العلاقات الدولية؛ لكن يركز في المقام الأول على الديناميكيات الأمنية التي تخترق الحدود الوطنية للدولة بحيث يصبح الاستقرار الأمني المحلي محددا بما يحدث في المنطقة الإقليمية التي تحيط بالدولة. فالدول الضعيفة أو التي تعاني من انقسامات قومية حادة أو صراعات داخلية، تكون فضاءً لتنافس القوى الخارجية المختلفة والمجاورة لها على وجه الخصوص؛ وتكون أقل تشبثا بالسيادة وأكثر عرضة للعطب بواسطة التهديدات الخارجية. وبشكل عام، تكون بيئتها الأمنية أكثر هشاشة وأقل استقرارا وأكثر انتهاكا لحقوق الإنسان وعلى رأسها الحق في الأمن (13)

طرحت كل المفاهيم الأمنية السابقة من أجل تحقيق أمن الدولة في المقام الأول الذي عادة يصطلح عليه في أدبيات الدراسات الأمنية "بالأمن

الوطني أو القومي"، ومركزا على الجانب المادي؛ سواء تعلق الأمر بالمسائل العسكرية البحتة أو الاقتصادية أو البيئية، إلا أنه لا يتضمن الجوانب الرمزية والثقافية التي هي أكثر أهمية في المفهمة الإسلامية لموضوع الأمن. لقد اصطلح جون ميرشيمر (14) على سلسلة الفعل الأمني ورد الفعل بمصطلح "المنافسة الأمنية"، المسئولة بدورها عن ظاهرة أخرى وهي "المأزق الأمني"؛ ينتج كلاهما عدم الأمن وليس العكس.

1. الحق في الأمن : مقاربة النظرية الإسلاميّة

أ-معاني الأمن في الإسلام

المتمعن في عدد من النصوص القرآنية والسنة النبوية، يجد أن مفهوم "الأمن" يأخذ عددا من المعاني

- يأتي على رأسها **المعنى الروحي** المتعلق باستقرار الذات وتماسك الانفعالات بطريقة يصبح الفرد أكثر قدرة على الإدراك الصحيح والتقييم العقلاني للأشياء حوله. وهي المعاني التي أبرزت أهميتها أيضا المقاربة المعرفية (15) والمقاربة النفسية (16) في صناعة قرارات السياسة الخارجية، لكن بطريقة أخرى. فقد ربط القرآن الكريم بين ذكر الله عز وجل والأمن النفسي والاستقرار العاطفي. قال الله عز وجل : "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن قلوبهم"(17) قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي تسكن وتسأتنس بتوحيد الله فتطمئن؛ قال: أي وهم تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم... أو تطمئن بذكر فضله وإنعامه؛ كما توجل بذكر عدله وانتقامه وقضائه"(18) فالاطمئنان هنا يعني الاستقرار النفسي والتماسك الانفعالي اللذين عادة يتقوضان بواسطة الخوف والهلع في ظروف عدم الأمن. بل إن جوهر الأمن النفسي والروحي مشتق من ذكر الله عز وجل، بيّن ذلك القرآن الكريم عندما قال: "فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد وربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى"(19) النتيجة المترتبة عن سلسلة من التسبيح في أوقات مختلفة هي الأمن النفسي (لعلك ترضى)، بمعنى الاستقرار الوجداني والتماسك الانفعالي أين يستطيع العقل المحافظة على توازنه في الإدراك الجيد للأشياء. ويعني هذا

من جهة أخرى، أن هناك علاقة اعتماد متبادل بين الأمن النفسي والأمن الروحي التي تجعل الأفراد (صناع قرار أو أفراد عاديين) يعملون بطريقة ملائمة في ترتيب الأشياء وإنتاج التقييمات المناسبة والصحيحة. إن مفهوم الأمن بهذه الطريقة، يعمل باتجاه المساعدة على تكيف الفرد مع ظروف البيئة تحت الظروف القاسية (الأزمات أو الحروب مثلا)، والاستمرار في التفكير العقلاني طالما أن هناك شعور بالأمن النفسي.

➢ **المعنى الثاني** لمفهوم "الأمن" في الإسلام هو تبديد أسباب وظروف ومناخ الخوف، وهي النعمة التي أشاد بها الله عز وجل على عباده كنتيجة لأهميتها في الحياة الاجتماعية والسياسية للناس. فقال الله عز وجل في شأن أهل مكة والعبرة موجهة لجميع بني البشر، "الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف"(20). ذكر الجوع والخوف على وجه التحديد بسبب العلاقة الوثيقة وحالة الاعتماد المتبادل بينهما، بحيث أن الجوع ينتج عدم الأمن وعدم الأمن أيضا ينتج الجوع. فعندما تكون ندرة قاسية في الأكل، يلجأ الناس إلى أعمال الشغب والنهب بشكل تتحول الحياة إلى حالة من عدم الأمن؛ في نفس الوقت عدم الأمن يجعل الكثير من الناس في حالة التشرد وبدون أكل ومأوى كما هي حالة الحروب الأهلية اليوم في العلاقات الدولية التي تدفع بملايين البشر ترك بيوتهم وأوطانهم والعيش في أقاليم أجنبية كلاجئين؛ وفقدان امتيازات تعليم الأطفال والرعاية الصحية وغيرها من أشكال الحياة الكريمة. الفكرة الأخرى التي يتضمنها الربط بين الجوع والخوف، هي أن الناس عادة يبحثون في المقام الأول عن إشباع الحاجة للأكل ثم يليها البحث عن الحاجة للأمن، كما جاء أيضا في نظرية الحاجات لإبراهام ماسلو(21).

➢ يتضمن **المعنى الثالث** لمفهوم "الأمن" في الإسلام العلاقة بين الإيمان والأمان من الخوف والجوع، بحيث أن من مصادر اشتقاق الأمن شيوع الإيمان بين الناس؛ وهذا ما جاء في القرآن الكريم عندما قال الله عز وجل: "وقالوا إن نتبع الهدى معك نُتَخطف من أرضنا، أو لم نمكّن لهم حرما آمنا تُجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون. وكم أهلكنا من قرية بطِرت معيشتها، فتلك مساكنهم لم

تسكن من بعدهم إلا قليلا، وكنّا نحن الوارثين"(22). تتضمن هذه الآية علاقة ذات معنى روحي يربط بين الإيمان بالله وتأمين حاجات الأمن والغذاء، من غير إشارة إلى تعطيل للأسباب والمصادر المادية ؛ بل حضور شروط فعلية في البيئة الواقعية للناس، يكون مصدرا مهما لاشتقاق معنى الأمن من الخوف والجوع.

➢ يتمثل **المعنى الرابع** لمفهوم "الأمن" في النظرية الإسلامية الأمنية في العلاقة بين التوحيد والشعور بالأمن، ويعني التوحيد التزام "لا إله إلا الله" قولا وفعلا. ولبيان أن هذه العلاقة تعكس الخاصية العامة المتحكمة في الوجود الاجتماعي الآمن للناس، ذكر القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام، أن الإشراك بالله والكفر هما مصدران لعدم الأمن؛ قال الله تعالى: "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون"(23). يدل سياق الآية على أن مفهوم الأمن في المنظور الإبراهيمي مرتبط بالخوف من عواقب مخالفة أمر الله وطاعة الآلهة، بما يعني أن مصدر اشتقاق الأمن وتبديد الخوف هو توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، وعدم الأمن هو مشتق من الشرك. على افتراض أن الخوف من الأشياء الغيبية هو جزء من مضمون الأمن في الإسلام، والذي هو بدوره مرتبط بالأمن في البيئة الفيزيقية التي تحيط الفرد. وهو المعنى الذي أظهره القرآن الكريم وهو يتحدث عن أهل مكة ويذكّرهم بنعمة الأمن مقارنة بالمناطق الأخرى حولهم التي تعاني من حالة عدم الأمن؛ وأن هذه النعمة هي مستمرة لأسباب روحية إيمانية (وجود الكعبة أو الحرم)، قال الله عز وجل في ذلك: "أو لم يروا أنّا جعلنا لهم حرما آمنا ويُتخطف الناس من حولهم، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون"(24).

ب- مكونات الأمن في الإسلام

➢ رفع الإكراه المعنوي والمادي

المكوّن الأول في مفهوم الأمن من منظور النظرية الإسلامية هو إبطال الإكراه النفسي والمعرفي على الأفراد والجماعات والشعوب في اعتناق الإسلام، كطريقة للشعور بالأمن حتى في المسائل الاعتقادية الخاصة. إذ لم

يفرض الله عز وجل بالإكراه الإيمان على الناس –وهو قادر على ذلك- وتركهم أحرارا ليعتقدوا طواعية، فقال الله عز وجل في ذلك: "لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي"(25). كما لم يعط حق الإكراه في الاعتقاد للنبي صلى الله عليه وسلم عندما قال القرآن الكريم يخاطبه: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"(26). بمعنى آخر، أن من مقتضيات الأمن ألا تمارس أشكال القمع والإكراه على العقول والمشاعر من أجل فرض أي عقيدة أو إيديولوجية على الناس. وهي المعاني الرمزية للأمن التي تنتج حالة القابلية للتعايش بين الأديان والاعتقادات والثقافات والعرقيات داخل المجتمعات الإسلامية، وفي نفس الوقت لا يكون التباين في العقيدة سببا ومبررا كافيا لشن الحرب أو انتهاك كرامة الآخرين أو تقويض الاستقرار القائم. تشكل كل هذه المعاني جوهر الحق في الأمن منظور النظرية الإسلامية.

- العلاقات عبر التباين السوسيولوجي

زيادة في بناء التلاحم السوسيولوجي والاجتماعي بين مكونات المجتمع المتباينة على أساس ديني، أباح الإسلام بناء الأسر بين المسلمين وغير المسلمين من اليهود والنصارى بشكل يثبّت استقرار وأمن النسيج الاجتماعي أكثر، وأباح تواصل العلاقات الاجتماعية المختلفة في الحياة اليومية مثل الأكل في مطاعم غير المسلمين من اليهود والنصارى. وهذا يعني تعميق أسس الأمن عبر الأبنية الاجتماعية التحتية منعا لاحتمال حدوث أي تمزقات اجتماعية بسبب الاختلاف في الدين (الحرب الدينية أو الطائفية). قال الله تعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حِل لكم وطعامكم حِل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا أتيتموهن أجورهن"(27). قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية "يعني ذبيحة اليهودي والنصراني؛ وذلك لأنهم يذبحون على الملة...لأن الله عز وجل قد أباح ذبائحهم، وقد علم ما يقولون"(28). يأخذ الأمن في هذا المستوى شكل التلاحم الاجتماعي والتفاعل اليومي المستمر، اللذان بدورهما يعملان بطريقة آلية على تبديد التحفظات وتلطيف العلاقات –كما أكد عليه أيضا علماء النفس الاجتماعي(29) ، وخلق الحاجة للوجود المتبادل بسبب تنامي الوظائف بحكم

التفاعل الاجتماعي اليومي. بمعنى آخر، التأكيد على الربط الوثيق بين الاستقرار الأمني والقاعدة الاجتماعية للمجتمع المبنية على قبول الآخر الذي يختلف عنا في الدين أو المذهب طالما أنه أعطانا السلم، والذي يصبح يعمل كمصدر منتج للأمن والرغبة في استمرار العلاقات لا انقطاعها.

وحتى في حالات الخلاف مع غير المسلمين، يجب أن تكون الأداة المفضلة في معالجة الخلافات أو سوء الفهم هي الحوار بالتي هي أحسن وليس مجرد الحوار وتمهيد المناخ المناسب لنجاحه، على افتراض أن الحوار بالتي هي أحسن سوف يعزز من عملية التفاعل البيني ويصحح الأفكار الخاطئة ويلطف حالات التعصب والتطرف في العقائد ويعدّل سوء الإدراكات ويبدد مشاعر الكراهية. إنه يخلق مناخ التفاوض حول سلسلة غير متناهية من القضايا والموضوعات المطروحة في المجتمع، وبهذه الطريقة يتم التصحيح الذاتي لسوء الإدراكات والصور المعرفية المشوهة حول الآخر ويتم التأكد تجريبيا من نيات الآخر وطريقة تفكيره. قال الله عز وجل في ذلك موجها المسلمين نحو الحوار مع الآخر بأفضل الطرق والإستراتيجيات: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" (30) . يجب أن يركز المسلمون في حوارهم مع الآخر على نقاط التقاطع التي تجمعهم مع الآخرين، مثل (الإيمان بالكتب التي عند اليهود والنصارى)، (ووحدة الإله)، (والرسل) (وحدة الوطن)، (وفرص التعايش).

- الأمن من إنتاج الجماعة

المكوّن الآخر لمفهوم "الحق في الأمن" هو "الجماعة" باعتبارها المحيط المنتج للاستقرار الأمني على كل المستويات. لقد ظهر هذا المفهوم كمحور أساسي في بناء العلاقات الاجتماعية المختلفة في الإسلام عبر النصوص القرآنية والسنة النبوية ؛ بحيث أن كل نداءات القرآن الكريم كانت باسم الجماعة. فعندما يخاطب القرآن المؤمنين أو الإنسان بصفة عامة، يكون بصفة الجمع "يا أيها الذين آمنوا"، "يا أيها الناس" ؛ في إشارة منه إلى التأكيد على مفهوم الجماعة باعتبارها مصدرا للسلوك الاجتماعي الآمن، وعكسه التمزق والتشتت المنتجان لبيئة عدم الأمن. فقد قال الله

عز وجل: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا" (31). ثم ذمّ القرآن الكريم تقويض أركان الجماعة وتمزيق وحدتها عندما قال: "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم" (32). لقد حث القرآن الكريم على ضرورة لزوم الجماعة والارتباط بها خلال الظروف الأمنية القاسية، باعتبارها سببا ضروريا لتحقيق الأمن؛ عندما قال: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا، إن الله مع الصابرين" (33)

الجانب الذي يبرز العلاقة الوثيقة بين الجماعة والأمن هو بيان القرآن الكريم كيف أن تفكيك الجماعة وسلوك النزاع والصراع الداخلي هو سبب رئيسي في شيوع حالة عدم الأمن، قال الله عز وجل في شأن ذلك: "ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين" (34) . فكل أشكال النزاع والخلاف والفُرقة هي مفاهيم مرفوضة في عدد كثير من الأحاديث النبوية إلى درجة أن في بعض الأحيان ربط النبي صلى الله عليه وسلم بين تقويض الجماعة والكفر؛ وهكذا أخذت العملية بعدا عقيديا وروحيا. والسبب الرئيسي في ذلك هو آثار عدم الأمن القاسية المترتبة عن الفُرقة والنزاع والشقاق التي من الممكن أن تخترق جميع حدود المجتمع وتكون كلفتها قاسية في الأرواح والأموال، كأن تنشب حروب أهلية أو أن تكون الفرقة والنزاع ثغرتان أمنيتان للأعداء. وهذا ما هو مفهوم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: "عليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". وقال: "أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". فإحدى النتائج الفورية والمباشرة لتمزق الجماعة هي انهيار وتلاشي "الحق في الأمن" الذي هو إحدى المكونات الأساسية لمضمون حقوق الإنسان في منظور الإسلام.

2. لماذا الحق في الأمن ؟

الإنسان هو مركز الكون، وكل عناصر الوجود تدور حوله ومسخرة له، بواسطة تفوقه على هذه الموجودات بالعقل الذي هو مبرر التكليف الشرعي

وحمل المسؤولية والأهلية للتعاقد. فالإنسان مكوّن من قسمين: الروح: وهي شيء غير مرئي مصدره الله، وقسم مادي مصدره الأرض مما يشير إلى معنى الحياة الاجتماعية التي هي موزعة بين معاني روحية سماوية واعتبارات أرضية مرتبطة بالأولى. أي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بالانفصال عن الأرض والاستغناء عنها ويعتزل كل ما هو مادي، كما أنه لا يستطيع أن ينفصل عن اعتباراته السماوية وعلاقته بالله والاعتقاد بما هو مادي مجسم فحسب، فهذا مناقض للطبيعة الإنسانية المركب عليها. ومن ثم فالإنسان هو ذلك التركيب المؤلف من روح ومادة، والمكرّم عن جميع الكائنات الحية الأخرى والموجودات الطبيعية. وقد قرر القرآن الكريم هذه المعاني، عندما قال الله تعالى: "وإذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين..." (35). وقال الله عز وجل: "ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا..." (36).

أحد المظاهر العملية لمركزية الإنسان في الكون وتكريم الله له ومحوريته في التفاعل الاجتماعي الحاصل في العالم، هي تسخير الله عز وجل كل شيء في الكون له، قال الله تعالى: "وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون. وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون"(37). وقال الله تعالى: "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور"(38). كما أن السلوك النبوي قد ركّز - في جانب كبير منه - اهتمامه على الإنسان، "فقد ميّز العلاقة بين الرسول {صلى الله عليه وسلم} القائد وجماعته نمط الاهتمام بالأفراد الذي هو أحد أنماط القيادة، وذلك من خلال رعاية مصالحهم وخدمتهم والحرص على راحتهم، والعمل على تحقيق حاجاتهم وإشباعها، وذلك إدراكا منه أن الفرد هو العنصر الأساسي في أي تنظيم. وإذا لم يحض هذا الفرد من قبل القائد باهتمام ورعاية، فإن هذا يؤثر على معنوياته ونفسيته، كما يؤثر أيضا على علاقته بقائده وجماعته، وينعكس كل هذا على أداء الفرد

داخل الجماعة. ولذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنها بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال : "من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" (39).

ولكي يؤكد النبي {صلى الله عليه وسلم} نمط الاهتمام بالأفراد ورعاية مصالحهم، ربط بين خدمتهم والجزاء في الآخرة، وهذا ليحفز الأتباع على خدمة بعضهم البعض دون انتظار مقابل في الدنيا. ويؤكد هذا المعنى نتائج تحليل المضمون لأحاديث مختصر صحيح البخاري في الدراسة التي قام بها الباحث، إذ بلغت تكرارات هذا النمط 1247تكرارا، أي بنسبة 95،86٪ بالنسبة للأبعاد الأخرى، وهي أعلى نسبة. بالإضافة إلى أنه يفوق كثيرا تكرارات نمط الشورى. مما يشير إلى أن الممارسة القيادية للنبي{صلى الله عليه وسلم} كانت مركزة على خدمة الأفراد ورعاية شؤونهم، وإشباع حاجاتهم، التي في النهاية هي مكونات أساسية لمبدأ "الحق في الأمن" بمفهومه الواسع كما هو مؤكد عليه في الأطروحات النظرية الأمنية الجديدة أيضا(40). من خلال الدراسة المشار إليها سابقا، لاحظ الباحث أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} ركز على إشباع حاجات الأفراد وفق الترتيب التالي :

1. الحاجات الفسيولوجية.
2. الحاجة إلى الفهم والمعلومات.
3. الحاجة إلى التقدير والاحترام.
4. الحاجة إلى الحب والانتماء.
5. الحاجة إلى الأمن.
6. الحاجة إلى تحقيق الذات.(41)

بصفة عامة، تركز النظرية الإسلامية في مفهمتها "للحق في الأمن" على الأمن المجتمعي في أبعاده الإيمانية والرمزية بشكل عام قبل الحديث عن الجوانب المادية الخالصة. وحتى هذه الأخيرة تربط دائما بالمسألة الإيمانية مثل الإنفاق في سبيل الله وإطعام الطعام وتفريج كرب الآخرين. كما تركز النظرية الإسلامية الأمنية على الصياغة المفاهيمية المركبة والمتعددة القطاعات لمفهوم الأمن.

نتائج الدراسة :

من خلال دراستنا الخاصة بالمقارنة بين كل من الأطروحات النظرية الأمنية (الواقعية/الواقعية الجديدة، إعادة مفهمة الأمن)، و بين المنظور الإسلامي لحقّ الأمن، توصلنا إلى أهم النتائج الخاصة بأوجه التشابه و الإختلاف بين الطّرحين كما يلي :

أ-أوجه التشابه:

1- يشتركان في أهمية أن الأمن يحقق المصالح العامة.

2- الأمن حقّ كل المُجتمعات.

ب- أوجه الإختلاف:

1-1- المقاربة الإسلامية تركز على الجوانب المعنوية في المقام الأول ثمّ المادية.

1-2- تركز المدرسة الواقعية/ الواقعية الجديدة على المستوى المادي للأمن.

2-1- تُعطي المقاربة الإسلامية قيمة كبيرة للمعتقدات التي تحوي الأمن.

2-2- تُعطي الواقعية (التقليدية و الجديدة) القيمة الأكبر للمصالح المادية

3- يختلفان في تصنيف أولويات المصالح الأمنية، فالنظرية الإسلامية تعطي الأولوية لأمن الإنسان في حين تعطي الواقعية الأولوية لأمن الدولة.

هوامش الدراسة

1) Hans Joackim Morgenthan, Politics Among Nations: The Struggle For Power And Peace, 5th ed. (New York: Alfred A Knof, 1978), p. 9.

2) جيمس دورتي وروبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، تر. وليد عبد الحي (د. م. : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1985)، ص ص. 68 - 75.

3) Jan Aart Scholte, «Global Civil Society,» in Perspective on World Politics, 3rd ed., ed. Richard Little and Michael Smith (London and New york: Routledge Taylor & Francis Group, 2006), pp. 237-44.

4) Steve Smith, "Reflectivist and Constructivist Approaches to International Theory," In The Globalization of World Politics : An Introduction to International Relations, ed. John Baylis and Steve Smith, 2nd (New York: Oxford University Press, 2001), pp. 231-38.

5) Barry Buzan, "The Level of Analysis Problem in International Relations Reconsidered," In International Relations Theory Today, ed. Ken Booth and Steves Smith (Cambridge: Cambridge Polity Press, 1995), pp. 205-12.

6) Zbigniew Brzezinski, The Choice : Global Domination or Global Leadership (New York : A Member of the Perseus Books Group, 2004), pp. 40-47.

7) Barry Buzan, People, States, and Fear: The National Security Problem in International Relations (London: A Member of The Harvester Press Group, 1982), pp. 245-52.

8) Hans Mouritzen, "Kenneth Waltz: a critical rationalist between international politics and foreign policy," in The Future of International Relations Masters in the Making ?, ed. Iver B.Neumann and Ole Wæver (London, New York: Routledge, 1997), pp. 71- 90.

9) ريتشارد ريتر وديفيد مارتين، "الدفاع الصاروخي الإقليمي في منطقة الخليج العربي: الاعتبارات المتعلقة بالإنذار المبكر والاستطلاع وإدارة المعارك والقيادة والسيطرة والاتصالات والحواسيب والاستخبارات،" في الدفاع الجوي الصاروخي ومواجهة انتشار أسلحة الدمار الشامل وتخطيط السياسة الأمنية، تح. جاكلين ديفس، شارلز بيري، وجمال سند السويدي (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2000)، ص ص. 118 - 19.

10) ريتشارد ريتر وديفيد مارتين، مرجع سبق ذكره، ص ص. 115 - 18.

11) Ibid, pp. 22-25.

12) Barry Buzan and Ole Waever, Regions and Powers: The Structure of International Security (Cambridge, New York : Cambridge University Press, 2003), pp. 73-75.

13) John J. Mearsheimer, The Tragedy Of Great Power Politics (New York, London : W. W. Norton & Company, 2003), pp. 40 -43.

14) Brian Riply, "Cognition, Culture, and Bureaucratic Politics," in Foreign Policy Analysis : Continuity and Changing in Its Second Generation, ed. Laura Neack, Jeanne A. K. Hey, and Patrick J. Haney (New Jersy : Prentice Hall, Englewood Cliffs, n. d.), pp. 89-99.

15) Chaerles W.Kegley,Jr. And Eugene R. Wittkopf, American Foreign Policy : Pattern and Process, 4th ed. (New York: St. Martin's Press, 1991), pp. 494-99.

16) سورة الرعد، الآية: 28.

17) أبـي عبـد الله القـرطبي، مختـصر تفـسير القـرطبي، اختـصره وخـرّج أحاديثه عرفان حسونة (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، ص. 519.

18) سورة طه، الآية : 130.

19) سورة قريش، الآية : 04.

20) Abraham Maslow, « Humanistic Theory of Personality," In Personality Theories: Basic Assumption, Research, and Applications, ed. Larry A. Hjelle and Daniel J. Ziegler (New york: McGraw-Hill International Editions), pp. 440- 84.

21) سورة القصص، الآية : 57- 58.

22) سورة الأنعام، الآية : 81.

23) سورة البقرة، الآية : 256. ، الآية : 04.

24) سورة العنكبوت، الآية : 67.

25) Abraham Maslow, « Humanistic Theory of Personality," In Personality Theories: Basic Assumption, Research, and Applications, ed. Larry A. Hjelle and Daniel J. Ziegler (New york: McGraw-Hill International

26) سورة يونس، الآية : 99.

27) سورة المائدة، الآية : 05.

28) أبي عبد الله القرطبي، مرجع سبق ذكره، ج. 2، ص. 17.

29) Robert A. Baron and Donn Byrne, Social Psychology : Understanding Human Interaction, 4th ed. (Boston, London, Sydney, Toronto: Allyn and Bacon, INC., 1984), pp. 321-56.

30) سورة العنكبوت، الآية : 46.

31) سورة آل عمران، الآية : 103.

32) سورة آل عمران، الآية : 105.

33) سورة الأنفال، الآية : 46.

34) سورة آل عمران، الآية : 152.

35) سورة الحجر، الآية : 28، 29

36) سورة الإسراء، الآية : 70.

37) سورة النحل، الآية : 12 ـ 14.

38) سورة الملك، الآية : 15.

39) النووي أبي زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين. الجزائر: مطبوعات ميموني للنشر والتوزيع، دون ذكر تاريخ النشر، ص : 96.

40) Mark Duffield, «The New Developing-Security Terrain,» in Perspective on World Politics, 3rd ed., ed. Richard Little and Michael Smith (London and New york: Routledge Taylor & Francis Group, 2006), pp. 325-33.

41) عامر مصباح، خصائص القيادة عند الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي (الجزائر : دار هومة، 2003)، ص. 165.